الأساليب والوسائل المجدية والمؤثرة في تربية الطفل وإعداده (٢٨)

يمكن أن نجمل هذه الأساليب في عدة أمور وهي:

١- التربية بالقدوة.

٢- التربية بالموعظة والتلقين.

٣- التربية بالمراقبة والملاحظة.

٤- التربية بالترغيب والترهيب.

وهنا سنلقي الضوء على التربية بالقدوة لأنها موضوع كتابنا:

معني القدوة:

القدوة في اللغة بضم القاف وفتحها وكسرها تعني: القدة ، يقال فلان قدوة: إذا كان يقتدي به ، ولى

(٢٨) تربية الطفل في الإسلام - د. أحمد محمود الحمد - ط١- ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

بك قدوة ، ويقال: قدوة وقدوة لما يقتدى به ، والقدوة والقدوة: ما تسننت به ، والقدوة: الأسوة ، يقال: فلان قدوة يقتدى به.

فالمراد بالقدوة اصطلاحاً: الإنسان الذي يقتدى به ويتأسى به في جميع أحواله ، قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في: أقواله ، وأفعاله ، وأحواله.

أهمية القدوة في التربية:

يقول محمد قطب: القدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة ، حتى إنها لتيسر معظم الجهد في كثير من الحالات ، ذلك أن الطفل يحب المحاكاة من تلقاء نفسه ، وأطفال المسلمين يحاكون

أبويهم في الصلاة حتى من قبل أن يتعلموا النطق ، ويصبح تعويدهم عليها أمراً سهلاً في الموعد المحدد. ويقول أيضاً من السهل تأليف كتاب في التربية ، ومن السهل تخيل منهج ، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول ، ولكن المنهج يظل حبرا على ورق.. يظل معلقاً في الفضاء... ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض... ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه ، عندئذ فقط يتحول المنهج إلى حقيقة ، يتحول إلى حركة ، يتحول إلى تاريخ.. لذلك بعث الله محمداً ﷺ ليكون قدوة للناس: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ووضع في شخصه ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي.. الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ..

إن القدوة في التربية تعد من أفضل الوسائل

المؤثرة في إعداد الطفل خلقياً ونفسياً واجتماعياً.. ذلك لأن المربي (سواء كان الوالدين أم المعلم) هو المثل الأعلى في نظر الطفل ، والأسوة الصالحة في عينيه. يقلده سلوكياً ، ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أولا يشعر ، بل تنطبع في نفسه ، وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدري أو لا يدري.

وإذا كان للقدوة الدور الأكبر في التربية والتوجيه لمختلف فئات المجتمع ، فإن هذا الدور يزداد أهمية في تربيته الناشئة ، وتوجيههم ، وتكمن الأهمية في أسباب أهمها:

(أ) أن مستوى الفهم عند الأطفال قليل ، ولذلك تكون رؤيتهم ، لما يفعل أوقع في نفوسهم.

(ب)أن القدوة الحسنة تقرب البعيد، وتوحي بأن المستحيل والصعب – في نظر الأطفال – قد

يكون ممكنا بدليل أن غيرهم قد فعله ، وشاهد الأطفال ذلك بأعينهم.

(ت)أن الطفل بحكم ضعفه يلجأ إلى الكبار مثل والديه وإخوته ومعلميه لحمايته ، فيقلدهم من منطلق العادة ، فالضعيف غالباً ما يقلد القوي في أفعاله.

(ث)أن الطفل يحب تقليد الأشياء التي يستحسنها الناس.

(ج)أن الطفل يحب تقليد من يعجب بهم من الناس سواء كانوا أقارب أم جيران أم غير ذلك.

ولا شك أن الطفل لا يدرك ما يدركه الكبار من المعاني والقيم والمبادئ ولكنه – بطريقة ما – ينشئ في نفسه قاعدة يبني عليها تلك المعاني والقيم والمبادئ في المستقبل ، فإذا كانت القاعدة مضطربة ومعوجة فلا أمل

في أن تكون القيم والمبادئ سليمة عنده.

فمثلاً إحساس الطفل بالظلم أو الاضطهاد من والديه قد يؤثر في بناء هذه القاعدة فيدمرها بدلاً من أن يقويها ويبنيها.

إن الطفل يلتقط من والديه – بالقدوة – قدراً متزايداً من القيم والمبادئ سيئة كانت أم حسنة حسب الأحوال.

إن مرة واحدة من القدوة السيئة تكفي لتأثر الطفل بها.

مرة واحدة. يكذب فيها أبوه على أمه ، أو تكذب فيها أمه على أبيه ، أو يكذب أحدهما على الجيران مثل أن يدعي الأب أنه غير موجود وهو موجود.. وغير ذلك ، مرة واحدة كفيلة بأن تدمر قيمة « الصدق » في نفسه ومهما قالوا له عن فضيلة الصدق فلن يصدقهم.

مرة واحدة يغش فيها الأب في تجارته ، والأم في منزلها ، سواء كان الغش بالقول أم بالفعل. مرة واحدة كفيلة بتدمير قيمة « الاستقامة والأمانة » في نفس الطفل.

وقس على ذلك في بعض الأفعال السيئة مثل: السرقة ، النفاق ، الخداع.. إلخ.

إن تأثر الطفل بوالديه في البيت هو الأساس في القدوة الحسنة ، فقد يغفر الطفل للآخرين كذبهم ، وخداعهم ، ونفاقهم ، وسرقتهم... أو لا يتأثر بأفعالهم كثيراً أو قليلاً.. إذا كان بيته المتمثل في أبويه وإخوته نموذجاً طيباً للصدق والأمانة وحب الخير ، وبخاصة إذا شرح له والده أن ما يفعله الآخرون شيءٌ شيءٌ وعملٌ قبيح.

لكن الطفل لا يغفر لوالديه أو إخواته أو معلمه

شيئاً من هذه الأفعال ، لأن تأثيرهم في نفسه أبلغ تأثير فهم القدوة الأولى في منشأ حياته.

صفات وأفعال يمكن غرسها بالقدوة:

بعد أن بينا أهمية القدوة في التأثير على تربية الطفل نحاول فيما يلي ذكر بعض الصفات والأفعال التي يمكن غرسها – بالقدوة – في نفس الطفل ، مع الاستدلال على ذلك بما ورد في الكتاب الكريم أو السنة المشرفة أو حياة الصحابة ، أو الآثار الإسلامية ، وما سنذكره مجرد أمثلة يمكن أن يقاس عليها:

أولاً: العبادات:

أن رؤية الطفل لوالديه وهما يصليان ، أو يصومان أو يتصدقان لها أثر كبير في تأثر الطفل بهم في ذلك ، وليس هذا بالنسبة للطفل فقط بل لكل المسلمين ، فالرسول ﷺ علم الصحابة العبادات عن طريق القدوة فقال في الصلاة..." صلوا كما رأيتموني أصلي " وقال في

الحج: " خذوا عني مناسككم ".

بل إن من شدة تقليد الناس له ﷺ كان يترك فعل الشيء خوفاً من أن يفرض على الناس تقول عائشة > : " كان رسول الله ﷺ يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم ".

وعن أنس > أن النبي ﷺ: (واصل) أي صام مواصلا الليل بالنهار والنهار بالليل يومين أو ثلاثة ، وكان ذلك في آخر رمضان ، فواصل الناس معه ، فبلغه ذلك ، فقال: "لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع له المتعمقون (أي المبالغون) تعمقهم ، إني لست مثلكم ، إني أظل يطعمني ربي ويسقيني (أي يعييني ويقويني)".

ثانياً: الأخلاق الفاضلة:

إن تأثر الطفل بالأخلاق كبير جداً وقد أشرنا فيما سبق إلى تأثر الطفل بكذب والديه أو صدقهما ، بأمانتهما أو غشهما.. ولقد أظهرت لنا الشريعة الإسلامية مدى

تأثير الأخلاق على الناس بالقدوة ، ولقد كان أخلاق رسول الله ﷺ نموذجاً يحتذي في أخلاقه فهو الصادق الأمين ، الذي قال عن نفسه " إنما بعثت لأتمم حسن الأخلاق ".

فمن مظاهر حسن خلقه ﷺ ما رواه أنس بن مالك > قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، والله! ما قال لي: أفا قط ، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلا فعلت كذا".

ومن مظاهر كرمه ﷺ أنه كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، فعن أنس بن مالك > قال: لم يسأل رسول الله ﷺ شيئاً قط على الإسلام إلا أعطاه ، وإن رجلا أتاه فسأله ، فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال: أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ".

وعن جابر بن عبدالله قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا".

ومن مظاهر شجاعته ﷺ ما رواه أنس بن مالك > قال: "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي صلحة عرى، في عنقه السيف وهو يقول: " لم تراعوا لم تراعوا " (أي لم تفزعوا فزعا يضركم).

ومن مظاهر تواضعه ﷺ ما رواه قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائصه، فقال له: " هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد ".

ومن مظاهر رحمته ﷺ ما رواه أبو هريرة > : " أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ﷺيقبل الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم ، فقال رسول الله ﷺ: " إنه من لا يرحم لا يرحم ".

ومن مظاهر زهده ﷺ ما رواه ابن مسعود > قال: " دخلت على الرسول ﷺ وقد نام على حصير ، وقد أثر في جنبه الشريف ، فقلت: يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ، فقال: " مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ".

ولم يكن زهده ﷺ بسبب الفقر أو ضيق اليد – وهو الذي عرضت عليه الدنيا من قبل الله عز وجل فرفضها – وإنما كان زهده ﷺ تعليماً لأمته ألا يركنوا إلى الدنيا ، وإن يتأسى الناس به في ذلك.

ومن مظاهر حلمه ﷺ ما رواه أنس > قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال: يا محمد مرلي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء ".

هذا ولو استطردنا في ذكر أخلاق النبي ﷺ لما كفت الأقلام والصفحات ، وإن ما ذكرناه قطرة من بحر وغيض من فيض ، فلن يستطيع أحد أن يحصى فضائله وأخلاقه ﷺ ، ومجمل القول ما روته أم المؤمنين عائشة عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: " كان خلقه القرآن ".

وصدق الله العظيم في وصفه لرسوله ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]. ومن مظاهر

الصدق أن رسول الله ﷺ قد حض على الصدق في الأقوال والأفعال، فعن عبدالله بن عامر > قال: " دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت: يا عبدالله تعال لأعطيك ، فقال لها: " وما أردت أن تعطيه؟ " قالت: تمراً، فقال: " أما أنك لو لم تعطه شيئاً ، كتبت عليك كذبة".

ولا غرابة في ذلك ، فمن أهم الصفات التي اشتهر بها رسول الله ﷺ في قريش قبل بعثته أنه الصادق الأمين ، وقول الرسول ﷺ للأم – فيما سبق – يظهر لنا أن المربي يجب أن يكون صادقاً في معاملته للأطفال ، ليكسبهم هذا الخلق الكريم ، ولأن الكذب قد ينتقل أثره إلى الطفل فيستمرئ الكذب لما رآه من فعل أبيه وأمه ومعلمه.

ومن مظاهر تنبيهه ﷺ للآباء أن يكونوا قدوة

صالحة لأولادهم في العدل والمساواة ما روي عن النعمان بن بشير > أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت إبني هذا غلاماً كان لي. فقال رسول الله ﷺ" أكل ولد نحلته مثل هذا؟ فقال: لا ، فقال رسول الله ﷺ " فارجعه " ، وفي رواية: " أن أمه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لإ بنها ، فالتوي بها سنة ، ثم بدا له ، فقالت: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺعلى ما وهبت لإبني ، فأخذ بيدي ، وأنا يومئذ غلام ، فأتى رسول الله ﷺفقال: يا رسول الله ﷺ:إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لإبنها فقال ﷺ " يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ " قال: نعم ، فقال: " أكلهم وهبت له مثل هذا؟ " قال لا ، قال: فلا تشهدني إذن ، فإني لا أشهد على جور ".

ألا يدل هذا القول من رسول الله ﷺ على حرصه

أن يسود العدل في الأسرة بين الأولاد في معاملة والديهم لهم: ليكونوا قدوة لأولادهم.

فبالقدوة يتعلم الطفل التلفظ بالألفاظ الحسنة ، فمما لا شك فيه أن ما يتفوه به الآباء والأمهات والمربون ينتقل أثره إلى أطفالهم ، فلا بد إذاً من أن نردد على مسامعهم أحسن الألفاظ وأعذبها وأجملها من مثل: تحية الإسلام بالسلام ، والدعاء بالصحة والعافية ، وألفاظ التحية الإسلامية المعهودة في الطعام والشراب والقيام والقعود والنوم والخروج من المنزل والعودة إليه ودخول المسجد والخروج منه ، ودخول الحمام والخروج منه وهكذا تصل إلى مسامع أطفالنا الألفاظ الطيبة ، فيتأثر بها ، ويستخدمها في مستقبل حياته.

واجبات المربي في التربية بالقدوة:

هناك أمور ينبغي على المربي (الوالدين أو المعلم) أن يفطن إليها لتتم الاستفادة من هذه الوسيلة وهي:

- ألا يخالف قوله عمله ، وإلا فإنه يكون بذلك مناقضاً لنفسه ، وينطبق عليه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢ -٣].
- أن يتم التركيز من الوالدين على تربية أكبر أولادهم ، لأن للأخ الأكبر تأثير على إخوته ، فغالبا ما يقلد الطفل أخاه الأكبر ، ويتأثر بكثير من أقواله وأفعاله وعاداته.
- أن يهتم الوالدان باختيار صحبة أولادهم ، فالطفل بطبيعته ميال إلى تكوين الأصدقاء

ومجاراتهم في سلوكهم وألعابهم وتصرفاتهم ، ودليلنا في ذلك قول الرسول ﷺ" الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل".

- أن يحرص الوالدان على حسن اختيار المدرسة التي يتلقى فيها الطفل تعليمه ، ويلتقي فيها بزملائه من التلاميذ ومعلميه ، ويعيش معهم مدة غير قليلة من نهاره ، فلابد من أن يتأثر بهم.
- أن يربط الوالدان تربيتهما لطفلهما بنور النبوة الصافي ، والقدوة الحسنة للنبي ﷺوصحبه الكرام ، وطريقتهم في تربية أولادهم ، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١].
- أن يحرص الوالدان على مراقبة أولادهم داخل

البيت وخارجه ، في الشارع ، في النادي ، في المسجد ، ويحاولان دائماً توجيهه ونصحه ، بحيث يكون المجتمع حول أطفالهم مجتمعاً مسلماً ، ولا يشعر الأطفال بالتناقض بين ما يسمعون وما يشاهدون على أرض الواقع.

" فحين يتكون مجتمع إسلامي فإنه يشرب أطفاله مبادئ الإسلام عن طريق القدوة القائمة في المجتمع ، متمثلة في الأسرة والوالدين.. إن الولد الذي يرى والده يكذب لا يمكن أن يتعلم الصدق ، والولد الذي يرى أمه تغش ، لا يمكن أن يتعلم الأمانة ، والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون ، والأسرة هي المحضن الذي يبذر في نفس الطفل أول بذرة ، ويكيف بتصرفاته مشاعر الطفل وسلوكه ".

" فليعلم الآباء والأمهات والمربون جميعاً أن التربية

بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم اعوجاج الولد ، بل هـي الأسـاس في ترقيـه نحـو المكرمـات والفضـائل والآداب الاجتماعية النبيلة.

□□□